

الدرس: 01

الأجناس الأدبية ومصنفات العرب

نبذة تاريخية عن ظهور الأجناس الأدبية:

1- الخطب :

للخطابة العربية حظ بالغ الأهمية في تعلم اللغة العربية نظرا لطبيعة الإنسان العربي بالإضافة إلى طبيعتها، وقد تحدثت كتب النقد عن نصوص درر لازلنا إلى حد اليوم نحاول قراءتها وفهم مضامينها، وقد اشتهر من خطباء الجاهلية "قس بن ساعدة الإيادي" و"عتبة بن أبي ربيعة" في مكة و"أكثم بن صيفي" و"عمرو بن معد يكرب الزبيدي" .
يُعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الخطباء وبعده خلفاؤه الراشدين وبعض من ملوك وأمراء العصر الأموي ك معاوية وعبد الملك بن مروان وزياد بن أبيه والحجاج والحسن البصري والأحنف بن قيس.

وتقول كتب النقد القديم أن تدوينها تم مع تدوين الحديث الشريف نظرا لبلاغتها ولغتها المميزة التي قيلت بها وفي عصر التدوين تم جمع الخطب الجاهلية والإسلامية وتدوينها، وتنوعت النصوص الخطابية إلى الحماسية والفخرية والأخلاقية وخطب المناسبات.

2- الوصايا :

هي مجموعة من النصوص النثرية الزاخرة باللغة والأشعار، تهدف إلى زرع المكارم والأخلاق العالية في الأمة الإسلامية، وأشهر الكتب التي ألفت في الوصايا" كتاب تاريخ العرب للأصمعي، وكتاب الوصايا لعلي بن دُعبل الخزاعي (246هـ) وكتاب الوصايا لأبي حاتم السجستاني (ت248هـ)، وكتاب "وصايا الملوك وأبناء الملوك" للوشاء.

3- الرسائل :

كانت الرسائل قليلة عند العرب إلا ما كان بين الملوك والأمراء في شؤون السياسة والحكم ومنها الرسائل الشخصية التي يتراسل بها الناس في أمور حياتهم، كرسالة عبد المطلب إلى أخواله بيثرب والرسائل الرسمية والتي تكون بين الملوك أو الملوك وولاتهم كرسالة "المنذر لأنو شروان" ورسالة "عمرو بن هند" إلى "المكعبر بخصوص المتلمس.

والرسائل المشفرة، وقد تميزت بالإيجاز بدون مقدمات، وكان من عادة قريش أن تبدأ "باسمك اللهم" فلما انتشر الإسلام غيرها إلى "بسملة"، ومن أشهر رسائل الإسلام هي رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء والولاة يدعون فيها إلى الهدى وإتباع الدين الحنيف. أما في العهد الأموي فظهر "ديوان الرسائل" الذي ذاع صيته، وكان عبد الحميد الكاتب (ت132هـ) كاتب مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين وكان من أشهرهم في الكتابة "ابن العميد" (ت359هـ) الذي سمي بالجاحظ الثاني.

4- الأمثال:

إن الأمثال عند العرب ذخر حضارتهم ونبراس تاريخهم وسجل حافل للغتهم، وكانت تحفظ وتنقل بالرواية الشفوية، دليلاً على فصاحتهم وبلاغتهم، أما بداية التأليف فقد بدأت حسب ما وصلنا في القرن الأول، أمثال المفضل الضبي ومؤرخ السدوسي (195هـ) وأبي عبيد القاسم ابن سلام (ت224هـ) وكتاب "الدرة الفاخرة" لحمزة الأصفهاني (ت350هـ) وكتاب "المستقصى في الأمثال" للزمخشري (ت538هـ) و"مجمع الأمثال" للميداني.

5- القصص :

لقد استطاع الإنسان العربي أن ينقل تجاربه ورحلاته في ما يسمى بالقصة العربية، التي ارتبطت في الجاهلية بأحاديث ومجالس السمر وكان الراوي يحكي عن الأمم البائدة وأيام العرب وأخبارهم وحروبهم ومسامراتهم الليلية وأيامهم الغابرة.

أما في الإسلام فقد ارتبطت القصة كلية بالموعظة وأخذ العبرة والدعوة إلى نبد الخلاف والدخول إلى الدين الذي غير حياتهم وعلمهم ما لم يكونوا يدركون من ناحية اللغة والأسلوب وفن جذب السامع والتأثير فيه تربويا ودينيا.

كانت القصص العربية تميل إلى أسلوب التشويق والحكمة التي يراد بها مغزاها وإثارة القضايا الكبرى التي تهم الدين الإسلامي، حتى تنتشر لغتهم في جميع الأصقاع العربية وغير العربية.

ومن الانتقادات التي وُجّهت لكتاب القصة أنهم اهتموا بالجانب الإنساني وكانوا يميلون إلى السرقات، وهذا ما رفضه نقادنا العرب جملة أمثال طه حسين والعقاد وتناسى هؤلاء أن ديننا يدعو إلى نبد التفرقة، بل كان العربي سباق إلى الكتابة القصصية، وإذا تصفحنا تراثنا العربي الأدبي نجده زاخرا كـ "سيرة عنتر"، و"سيرة سيف بن ذي يزن"، و"كليلة ودمنة"؛ لابن المقفع (ت146هـ) و"رسالة النمر والثعلب"؛ لسهل بن هارون (ت 215هـ)، وقصص "ألف ليلة وليلة"، التي تُعد رائدة في السبق القصصي و"البخلاء" للجاحظ (ت255هـ) و"رسالة التوابع والزوابع" لابن شهيد (ت 426هـ)، و"رسالة الغفران" و"رسالة الصاهل والشاحج"؛ للمعري (363 - 449هـ)، و"رسالة حي بن يقظان"؛ لابن الطفيل (ت 581هـ)، و"المقامات".

6- الشعر :

للشعر عند العرب منزلة مرموقة فهو ديوانهم الذي يجمع أخبارهم وأيامهم وأنسابهم ومفاخرهم، ويعتبر الشاعر لديهم لسان حالهم والذائد عن حياض القبيلة والحامي لتراثهم الشعري والقبلي.

ولأن الشعر كفن قولي منظوم، عمد الشعراء والأدباء إلى حفظه ونقله مشافهة للأجيال التي حافظت عليه، وهذا ما مكن العرب من رعايته ونشره بين القبائل العربية، فعُرف شعراءهم لدي كل الأمصار العربية لنفاسة شعرهم وتغنيهم بالحياة ومواقفها الرائعة.

ولأن الرواية لدى الشعراء لها حظها من المعرفة، فقد كان لكل شاعر راو يحفظ من شعره ثم يذيعه بين القبائل في المناسبات، فمثلا "كثير عزة" روى لـ"جميل" وهو روى لـ"هدبة بن خشرم" وهذا روى لـ"الحطيئة الذي روى لـ"زهير بن أبي سلمى" وهو روى "لامرئ القيس"، وكانت الرواية في الشعر عن طريق السماع والقراءة.

استمرت الرواية الشفوية للشعر في العصر الجاهلي

حتى ظهر الرواة المحترفون الذين أخذوا الشعر واللغة من القبائل بالارتحال إليهم، وأشهرهم "أبو عمرو بن العلاء" و"حماد الراوية" و"خلف الأحمر" و"الأصمعي" و"المفضل الضبي" وقد جمع الشعر في البداية للاستشهاد به في تفسير القرآن ووضع قواعد اللغة، لكنه سرعان ما بدأ يجمع لذاته، وبذلك أخذ به النقاد العرب وكتبوا عن موضوعات الشعر الجاهلي وقضاياها دراسات نقدية.

وقد نتج عن هذه الكتابات كتباً جمعوا فيها الشعر وأشهرها "المفضليات" للضبي (ت164هـ) و"الأصمعيات" للأصمعي (ت216) بالإضافة إلى دواوين الجاهليين وغيرهم، وعنهم أخذ رواة القرن الثالث كأبي تمام في "حماسته" و"جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي و"شعر الهذليين" لأبي سعيد السكري، ولذلك تُعد هذه المصنفات ضمن مصادر الشعر الجاهلي والإسلامي.

-7- التاريخ والأخبار والأنساب :

كما اهتم العرب بعلم الأنساب والأخبار ومن بينهم معاوية رضي الله عنه الذي استقدم "عبيد بن شرية الجرمي" وكان نساباً وإخبارياً، وكان له مجلس للنسابة المشهور دغفل بن حنظلة السدوسي (ت70) الذي جمع فيه ما قاله في هذا المجلس في كتاب سماه "التضافر والتناصر".

كما عنوا بعلم التاريخ ومن بينهم علي سبيل الذكر "محمد ابن سائب الكلبي" (ت146هـ) وابنه "أبو المنذر هشام بن محمد" (ت203هـ) الذي اتبع نهج أبيه في التنقيب عن تاريخ العرب وأخبارهم وأنسابهم فألف "الجمهرة في النسب" و"كتاب الأصنام" و"كتاب" مثالب

العرب وكتاب أسواق العرب" وقد توالى التأليف النقدي بعد ذلك فهناك من ألف في تاريخ المدائن وتاريخ العرب القديم وتاريخ الأمم والدول وقد جمع الطبري في تاريخه ما تفرق وتبعه ابن كثير في البداية والنهاية.

8-أدب الرّحلات :

هذا النوع من الأدب يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث ووقائع وما صادفه من أمور أثناء رحلته في الأمصار، وتُعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، فالكاتب يستمد كل معلوماته من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها متفحصة وماتعة ومسلية، واستطاع العديد من الرحالة كتابة الروايات والقصص من أمثال الرحالة العرب والإفرنج " ابن بطوطة وماركو بولو وتشارلز داروين وأندريه جيد وأرنست همنجواي الذي سافر إلى العديد من الدول الأوروبية وأمريكا.

9-فن المقامة:

المقامة إحدى فنون الأدب العربي النثرية الممزوجة بالشعر في أغلب الحالات، وهي أقرب إلى أن تكون قصة قصيرة مسجوعة أو حكاية خيالية أدبية بليغة، تأخذ من براعة اللغة وفنونها، يسردها "راو" من صنع خيال الكاتب يتكرر في جميع المقامات، كمقامات بديع الزمان الهمذاني أو الحريري أو اليازجي.

تصور المقامة أحداثها، ولها بطل إنساني مشرّد شحاذ، ذو أسلوب بارع وروح خفيفة، يتقمص في كل نصوصه شخصية معينة، ينتقيها من عامة المجتمع، يُضحك الناس ويبيكيهم لينال من أموالهم، ضمن حدث فجائي فحواه نادرة أدبية أو مجموعة مسائل دينية أو تاريخية أو سيرية، أو مغامرة هزلية تحمل في سطورها لوناً من ألوان النقد والسخرية والاستخفاف وسقوط القيم لتمثل واقعا مُرا في العصر الذي كتبت فيه وتقوم على التفنن والبراعة في القص، والاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب.

لعل ما قدمته في محاضرتي هذه الشيء القليل مما زخرت به كتب الأدب والنقد القديمين والتي اهتمت بدراسة ما كتبه العرب قديما من شعر بمختلف أغراضه ونثر توزع بين ما ذكرت من أجناس نثرية.